52- دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء 209.
53- المرجع نفسه 212.
54- تأويل مشكل القرآن لإبن قتيبة 35.
55- معاني القرآن 30/2.
56- الأعراف 1 - 2.
57- معاني القرآن 368/1.
58- المصدر نفسه 19/1.
59- المصدر نفسه 85/1.
60- المصدر نفسه 100/1.
61- المقتضب 80/4.
62- الإتقان في علوم القرآن 145/1.
63- الألفية 46.
64- حاشية الصبان على شرح الأشموني 8/4.
65- لسان العرب (حرف).
66- معجم المصطلحات النحوية والصرفية 10.
67- انظر النحو العربي ومنطق أرسطو للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح 67-72.
68- مجلة آداب المستنصرية، الحروف والأصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين د/ هادي نهر، ع 212/8.
69- المرجع نفسه، ع 212/8.
70- المرجع نفسه، ع 212/8.
71- الكتاب 12/1.
72- من أسرار اللغة 280.
73- الألفاظ المستعملة في المنطق 46/45.
74- فن الشعر 108.
75- النحو العربي ومنطق أرسطو 68.
76- المرجع نفسه 77.
77- النحو العربي والدرس الحديث 97.
78- الإتقان في علوم القرآن 145/1.
79- الدرس النحوي في بغداد 156.
80- انظر الصاحبي في فقه اللغة 28 - 125 - 127.
81- الخصائص لابن جني 278/2.

التداخل اللغوي والثقافي
عند الطبيب ابن زهر من خلال كتابه "التيسير"

أ/ جعفر يايوش
المعهد الوطني للتعليم العالي
للحضارة الإسلامية - وهران -

تمهيد :

إذا ما أردنا تفكيك هذا العنوان إلى مركباته الأصلية، معناه الوقوف على مظاهر التجديد والتقليد في المباحث الطبية لأبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر (ت 557 هـ / 1162 م)، [1] ولا يتم هذا العمل إلاّ بإجراء التنقيب والتقويم لهذا التراث، ولكن استيعاب المستويات المضمونية للنّص الطبي لا يتأتى إلاّ إذا أحيط علماً بالوسائل والكيفيات اللغوية المنطقية المنتجة للمضامين بالآليات الأصلية .

وبما أن كتاب "التيسير" عبارة عن "نصوص"؛ فلابد إذن أن نُحَدِّدَ آلياتها اللغوية، وآلياتها العقلانية، من أجل الوقوف على العناصر الأولية والأسباب الجوهرية لأي موقف أو رأي طبّي، وهذه هي مرحلة التعليل أو المسْماة بـ"التأويل" ؛ لأن هذه "النصوص" الطبية أولاً وأخيراً، هي جهد بشري يمكن تحديده في صورتين متلازمتين، صورة "العقل المُكوِّن" (La raison constituante)، و "العقل المُكوَّن" (La raison constitiuée)، حسب رأي لالاند، إذ يقصد بالأول النشاط الذهني الذي يقوم به العقل حين البحث والدراسة والذي يصوغ المفاهيم ويقرر المبادئ، أما الثاني فهو مجموع المبادئ والقواعد التي نعتمدها في إستدلالاتنا، [2] والذي يهمنا بالدرجة الأولى هو العقل المكَوَّن إذ منه يتأسس النظام المعرفي (مفاهيم، تصورات ...)، الذي يعطي للمعرفة في فترة تاريخية ما بنيتها اللاشعورية .

ونقصد بكلمة "بنية" وجود ثوابت ومتغيرات، ومن ثمة فنحن نعني ثوابت ومتغيرات الثقافة العربية التي صنعت هذا النظام العربي الطبي .

وهل يعني هذا توحيد بين "العقل" و "الثقافة" التي ينتمي إليها على أساس أنهما مظهران لـ "بنية" واحدة ؟

فإذا ما إتفقنا وتواضعنا على هذا المفهوم، لابد من إرداف شرط مقيّد، وهو: «الثقافة هي ما يبقى عندما يتم نسيان كل شيء »، [3] إن ما يبقى هو "الثابت"، وما ينسى هو "المتغير"، إن المتبقى هو ثوابت الثقافة العربية الإسلامية، هو العقل العربي ذاته .

الآن يمكن رفع المزدوجتين من على المفهوم، مفهوم العقل العربي الذي عنينا برسم حدوده ومواصفاته، كي ننتقل إلى مرحلة "المحاجّة" و"المساءلة"، ماهو الثابت المتبقي في كتاب "التيسير" لأبي مروان بن زهر ؟ وماهو المتغير فيه ؟

للإجابة عن هذا السؤال، لابد من الإشارة إلى أن كل شيء في هذا الوجود، له ظاهر وباطن، وعليه؛ فالفعل البشري له ظاهر وله باطن، ونقصد بـ "الظاهر" تجليّات الفعل المادية الممكنة بالحسّ، ونقصد بـ"الباطن" محدّدات الفعل المادية والمعنوية والعضوية والنفسية ... إلخ من المحدّدات، ومن خلال هذين المستويين يمكن لنا فهم البنيات العميقة للنّص التراثي وللخطاب العلمي عند الطبيب ابن زهر الأندلسي .

وقد يتساءل البعض، ماهدف دراسة ظاهرة التداخل اللغوي عند الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الأندلسي ؟ ومن خلال كتابه التيسير بالذات ؟

إن مسألة التداخل اللغوي لها علاقة مباشرة بقضية الاقتراض اللغوي بالنسبة للغة العربية مع لغات العالم الأخرى، وقد كانت موضوع مناقشات مذهبية وفكرانية (ايديولوجية) خارجة عن مباحث اللغة عن الفقهاء والمفسّرين.[4]

لكن الفارق بين الطبيب ابن زهر وغيره من الذين، بحثوا الموضوع، أنه لم يفرد له كتاباً خاصاً أو رسالة قائمة بذاتها، وإنما من خلال تعاملنا مع الكتاب، وجدناه كتاباً طبياً قابلاً للدراسة التطبيقية لمناقشة مسألة التداخل اللغوي، لما حواه من كل هائل للمصطلحات العلمية الأعجمية، إذ تمثّل " غُرْبة لغوية " (Xénétisme linguistique) [5] ضمن السياق العام للنصوص الطبية، وهذا يفتح الباب واسعا لمناقشة "المنطوق" في النّص، و "المسكوت" عنه؛ فاللغة مفتاح هذه الأسئلة المشروعة؟!

الموضوع :

1- مصادر الكتاب :

الميزة التي ينفرد بها كتاب "التيسير" أن صاحبه أبا مروان يذكر مصادره في الغالب، وهذا دلالة على الأمانة العلمية والموضوعية التي يتميز بها، وقد ألّفه بناء على طلب صديقه ابن رشد الفيلسوف (520 هـ - 595 هـ / 1126 - 1198 م)، لجعله تفصيلاً لكتاب الكليات في الطب، وهو الكتاب الذي ألّفه ابن رشد، ووصف فيه بصورة عامة، ماكان معروفاً عن الأمراض في زمانه، وبما أنه لم يتطرق إلى التفاصيل في المعالجة كطبيب سري ممتهن؛ فإنه طلب إلى صديقه ابن زهر أن يجعل كتابه مشتملاً على إختباراته ومشاهداته في علمي الأمراض والمداواة. [6]

ويمكن لنا تصنيف مصادره حسب نسبتها إلى أصحابها كمايلي :

1- **أبقراط :** - كتاب أفيديميا [7]

2- **جالينوس :** - الأعضاء الآلة [8]

- حيلة البرء [9]
- قوانين جالينوس [10]
- منافع الأعضاء [11]
- الميامير [12]

3- **حنين ابن اسحق :** - العشر مقالات في العين [13]

4- **عبد الملك أبو مروان** : - كتاب الزينة [14]

5- **عبد الملك بن زهر :** وقعت في ذلك رسائل كثيرة بين الشيخ عبد الملك والوزير أبي المطرف بن وافد. [15]

- كتب مجهولة لم يرد ذكر عناوينها وإنما أشار إليها فقط كقوله : « رأيت ذلك في الكتب ». [16]

أو قوله : « وقعت في ذلك رسائل كثيرة بين الشيخ عبد الملك والوزير أبي المطرف بن وافد، ... والرسائل في أيدي الناس موجودة ». [17]

أو مثل ذكره : « ينبغي قراءة الكتب المرسومة المشهورة لجالينوس ». [18]

أو كما يذكر في موضع آخر من الكتاب : « هذه النسخ التي كان يعول أبي عليها ويقيمها وعليها كان وقع اختياره وأقمتها بين يديه ومن بعده رحمه اللّه ». [19]

2- موارد الاستخبار :

أما مصادر الاستخبار، ونعني بها العلماء الذين نقل عنهم، سواء من خلال الاطلاع على آرائهم في مصادرهم، أم أخذ عنهم بالمشافهة والتجربة، وهم يمكن تصنيفهم كما يأتي :

1- جالينوس، 50 مرة .

2- أبو العلاء زهر، والد الطبيب أبي مروان، 36 مرة .

3- أبقراط، 12 مرة .

4- عبد الملك بن زهر، الطبيب الجد، 06 مرات .

5- أرسطو طاليس، 05 مرات .

6- سفيان طبيب علي بن يوسف، 03 مرات .

7- ابن فضيل، 01 مرة .

أما الأطباء الذين ذكرهم في معرض الكلام؛ فمنهم أسقلبيوس، ذكره مرة واحدة، [20] وذكر أيضاً بطليموس الفلكي مرة أثناء حديثه في سياق كلامه. [21]

وسنعود فيما بعد لتحليل هذه المعطيات البيانية في مبحث التداخل الثقافي عند الطبيب أبي مروان بن زهر، أما الآن سننتقل إلى موضوع الكتاب وهو المدخل لدراسة المبحث اللغوي وهو أساس وجوهر هذه الدراسة.

3- موضوع الكتاب :

من خلال الاطلاع على محتوى الكتاب، نجده، كتاباً طبيًّا بمعنى الكلمة؛ فهو مصنّف بطريقة كلاسيكية حسب المنهج الجالينوسي في دراسة الإنسان إذ يبدأ بالرأس وعلله ويسير نازلاً إلى أن يصل إلى الأمراض السفلى، أي من قمة الرأس إلى أخمص القدم بمنهج رأسي تنازلي.

والمتصفّح لهذا المُؤَلَّف يكتشف أن صاحبه قد ضمّنه عدداً كبيراً من تجاربه ومشاهداته وآرائه المصحِّحَة لما وقع فيه الأوائل من أخطاء، كما يجد عدداً لا بأس به من إكتشافاته أو إختراعاته لطرق علاجية لم يسبق إليها.

لقد قسم كتابه التيسير إلى جزءين إثنين وملحق سماه "الجامع"، ويحوي القسم الأول مائة وخمس وخمسين (155) موضوعاً طبياً، بينما القسم الثاني إحتوى مائة وثمانية (108) موضوع، أما الملحق فقد ضمّنه سبعة وستين (67) وصفة طبية.

ولقد أقر أكثر من مرة أنه جالينوسي المذهب، ويعتمد القياس والتجربة، عند معالجة الحالات المرضية المختلفة.

والذي يهمنا درسه من كتاب " التيسير " لابن زهر الأندلسي، ليست المادة الطبية والعلاجية، بل الجانب المعجمي الإصطلاحي الذي من خلاله يمكن فهم العلاقات القائمة بين اللغة والثقافة العربيتين بغيرهما من اللغات والثقافات، ومن ثمة إدراك الآليات الداخلية للنص الطبي عند أبي مروان.

4- التداخل اللغوي :

من خلال عملية إحصاء المصطلحات الواردة في الكتاب، خرجنا بالنسبة التالية :

اللغات الأعجمية	عدد المصطلحات	النسبة ٪ من 204
- الفارسية	94	43.92
- اليونانية	70	34.31
- السريانية	11	05.39
- الآرامية	08	03.92
- اللاتينية	05	02.45
- العبرية	05	02.45
- السنسكريتية	05	02.45
- الهندية	04	01.96
- البربرية	01	00.49
- المصرية القديمة	01	06.49
المجاميع	204	100

إن استقراء هذه اللوحة يبين أن اللغتين الأساسيتين المقترض منهما هما الفارسية واليونانية وتليهما السريانية والآرامية واللاتينية والعبرية والسنسكريتية، ثم تأتي بعد ذلك لغات ثانوية لا يعتدّ بها وهي الهندية والبربرية والمصرية القديمة، ولغلبة اللغتين الفارسية واليونانية ما يفسّره تاريخياً وثقافياً وحضارياً، فالأولى لغة قوم تمازجوا بالعرب تمازجاً قوياً قبل الإسلام وبعده، وقد ظهر الإقتراض في اللغة العربية من اللغة الفارسية منذ العهد الجاهلي، [22] ثم إنّ النهضة الطبية العربية الإسلامية وحركة الترجمة، خاصة في العهد العباسي كانت على أيدي علماء قد تكوّنوا في مدرسة جُنْدَ يسابُور ببلاد فارس، وكان غالبهم من السّريان، وكانت منهم أسر مشهورة مثل آل بختشيوع وآل ماسويه .

- أما اللغة اليونانية، فقد كانت لغة العلوم والثقافة والمعارف بدون منازع، وهي بذلك تمثّل غلبة علمية وحضارية، بَدْءاً مع حركة الترجمة العربية في القرن الثالث الهجري وبعده؛ فقد أقبل العرب على نقل الثقافة الطبية والصيدلية اليونانية، أما بقية اللغات الأخرى بالنسبة لابن زهر؛ فهي صنفان، أولهما ذو أهمية خاصة بالنسبة إليه، ويشمل السريانية والآرامية واللاتينية والعبرية والسنسكريتية؛ فاللاتينية يرجع مدار الإهتمام بها لأنها لغة ثقافية وحضارية في الأندلس، ولأنها كانت تستعمل من طرف الأندلسيين ممزوجة باللهجة الأندلسية المحلية، والعبرية مرجع تواجدها في المعجم الطبي والصيدلي، يعود إلى تواجد اليهود في المجتمع الأندلسي بصورة واضحة وجلية منذ البدايات الأولى للحركة الطبية في الأندلس، بل لقد كان لليهود دور في ترجمة الكثير من التراث الطبي الإسلامي إلى العبرية، أما الآرامية والسنسكريتية والسريانية، فإنها تمثل جانباً مؤثراً بحكم عملية التواصل الثقافي الذي كان متبادلاً بين الأندلس والمشرق ورحلة الأطباء المتبادلة .

- أما الظاهرة الملفتة للنظر؛ فهي تناقص حجم المصطلح البربري عند ابن زهر إلى حدّ يكاد ينعدم، مع أنّه عاصر دولتين بربريتين ألا وهما المرابطية والموحّدية، وقد كانت اللغة البربرية منتشرة الاستعمال في الأندلس زمن هاتين الدولتين، [23] بالإضافة إلى أنه كان مقرباً من الخليفة المرابطي علي بن يوسف، وكذلك الخليفة الموحدي عبد المؤمن، وهذا إن دَلَّ على شيء؛ فهو يدل على طبيعة العلاقة التي كانت بين ابن زهر واللغة البربرية، وهي أنه لم يكن على علم بهذه اللغة .

- ومن زاوية أخرى، تثبت هذه اللغات، تفتّح ابن زهر على اللغات الأعجمية؛ فهو بإيراده لأسماء الأشياء كما هي على أصلها؛ فكأنه يؤسس لـ "لغة طبية عالمية"، وهذا بسبب الظروف العملية الإجرائية آنذاك، وليس مثل ما أراده كل من الفيلسوفين ديكارت (Descartes) ولايبنتز (Leibniz) الداعيين إلى إيجاد "لغة فلسفية عالمية"، [24] وربّما هذا ما يفسّر ما يوجد في العصر

الحديث من معاجم لغوية علمية، تحوي مفردات تقنية هي هي، سواء كتبت بالحرف العربي، أم بالحرف اللاتيني؛ فالأمر سيّان . .

والخلاصة التي نخرج بها حول منزلة المصطلح الأعجمي في كتاب التيسير لابن زهر، هي أن اللغة العربية في ميداني الطب والصيدلة، كما تبرز من كتاب أبي مروان مضطرة إلى التعامل مع غيرها من اللغات بالأخذ منها والاعتماد عليها والتعامل معها لسد الفراغات المعجمية ولتلبية حاجات وضرورات حضارية، وهذا بدوره أكسب اللغة العربية مرونة وقدرة على استيعاب موروث الحضارات السابقة ومن ثمة أمكن التفكير بواسطة آليات العقل العربي في مسائل حضارية غير عربية ! ...

5- موقف ابن زهر من اللغات الأعجمية :

لم يسجّل ابن زهر في كتابه أي موقف نظري من اللغات الأعجمية؛ فكما يبدو من خلال إستقراء النصوص، أنه عالم يسعى إلى إرضاء رغبته العلمية والتعبير عما يريده باستعمال لغة علمية وعملية في الوقت نسفه؛ فهو يستعمل المصطلح الأعجمي حيث يجب استعماله، ويوضّف المصطلح العربي أيضا في موقعه المناسب من السياق ويمكن تحديد ذلك من خلال المظاهر التالية:

أ)- غلبة المصطلحات العربية الداخل على المصطلحات الأعجمية، إذ ورد 497 مصطلحاً عربياً، و174 مصطلحاً معرباً؛ فمن المصطلحات العربية نجد مثلا : "آكلة" [25] أو "إختلاج" [26] والتي تعني «تحرّك موضع من جلد البدن حركة إرتعاش، وهو إضطراب العضو أو جزء منه لريح مستكنّة فيه»، [27] أو "أدْرَة"[28] والتي تعني : «إنتفاخ يحدث في كيس الانثيين لاجتماع رطوبة فيه أو ريح». [29]

أما المصطلحات المعربة، فهي مثل "أظفار الطيب" [30] و "إكليل الملك" [31] و "عشبة الطحال" [32] و "شجرة الرهبان" [33]؛ فقد إستعملها ابن زهر من غير

أن يستعمل ما يقابلها من اصطلاح أصلي أعجمي " وكما قلنا سابقاً فإنه لا يعقب على أسماء المصطلحات الأعجمية إطلاقاً، وإنما يوردها كما هي لأنه يخاطب فئة المختصين من الأطباء وليس عامة الناس وقد صرّح في موضع من كتابه بقوله : «إن الانتفاع به لمن لم يحذق شيئاً من أعمال الطب بعيد، وإنه ليس على ما أمر به، ولا على غرض مما يريد». (34)

خلاصة القول إن إحتواء كتاب التيسير على هذا الكم الهائل من المصطلحات العربية 497 مصطلح ومن المصطلحات المعرّبة 174 مصطلح، ليدل على سعة استيعاب اللغة العربية لأغراض وحاجات الحضارة الإنسانية، وإنه لدليل آخر على قدرة التوليد والاشتقاق في اللغة العربية وهذا يزيد من حضوضها لتبقى فوق الزمان لا تنتهي ولا تتوقف بسبب ظروف آنية تعترضها، وبالنسبة لابن زهر؛ فهو يبحث عن العلميّ في اللغة والعلم؛ فاللغة عنده وسيلة موظّفة لترقية العلم الذي اختص فيه، كما يمكن القول أن اللغة العربية على يد ابن زهر الطبيب قلبت قاعدة التعامل الغالب عند بقية الأطباء والصيادلة الذين كانوا معاصرين له، وبيّن أنه يمكن للغة الأم أن نجد فيها ما قد يعوّض عن اللغات الأجنبية الأخرى، وهو بذلك يحقق جانباً مهماً في إرساء قواعد المعجم الطبي العربي بالأندلس .

أما المصطلحات الأعجمية فهي كثيرة ومنها "آس" ، "أترج"، "إثمد"، "أسارون"، "أسطوخودِس"، "أشَقّ"، "إشْقيل"، "أغاريقون"، "أفتيمون"، "أفْسَنْتين"، "أفيون"، "أقاقيا"، "أمْلَج"، "أنزروت"، وغيرها من المصطلحات ذات الأصل الفارسي واليوناني واللاتيني وبقية اللغات القديمة مثل السنسكريتية والآرامية والعبرية والمصرية القديمة .

6- التداخل الثقافي :

إن أهم ما يبرز ظاهرة التداخل الثقافي في كتاب علمي كـ"التيسير"، هي المصادر التي اعتمدها مؤلفه فيه، ولقد وجدنا بعض الصعوبة؛ فابن زهر في

بعض الآحايين ضنين بذكر مصادره إذا قيس بعلماء آخرين الذين ينسبون كل ما ليس لهم إلى أصحابه؛ فهو يعزو الأقوال إلى مجهولين كأن يقول : "ذكر الأطباء"، [35] أو "زعموا" [36] أو "وزعم الأطباء" [37] أو "وذكر بعض الأطباء"،[38] ولكن في مواضع أخرى يذكر ابن زهر مصادره، وهي هاته جداً في مثل هذه الدراسة، ولقد سبق وأن قدمنا دراسة إحصائية لها وهي كمايلي :

6-1- المصادر اليونانية :

اقترض أبو مروان من ثلاثة أطباء ينتمون إلى الثقافة اليونانية، وها نحن نوردهم حسب تواترهم في كتاب التيسير :

أ- جالينوس : وهو أشهر طبيب يوناني في تاريخ الطب العربي الإسلامي، وخاصة فيما يتّصل بالمداواة والعلاج، إعتمده خمسين مرة (50) وذكر له خمسة كتب، وهي "الأعضاء الآلة"، "حيلة البرء"، "قوانين جالينوس"، "منافع الأعضاء" و "الميامير" .

ب- أبقراط : وهو طبيب يوناني (ت . 377 ق.م)، إعتمده أبو مروان إثنا عشر مرة (12)، ولم يذكر له إلا كتاباً واحداً وهو كتاب "أفيديميا" .

جـ- أرسطو طاليس : وهو الفيلسوف اليوناني المقدوني (ت.322ق.م)، ذكره ابن زهر خمس مرات فقط (05)، ولم يذكر له أي كتاب.

6-2- المصادر الأندلسية :

اقترض أبو مروان وأخذ عن أربعة أطباء أندلسيين وهم بحسب الترتيب كمايلي :

أ-أبو العلاء زهر: وهو والد الطبيب أبي مروان، ذكره(36) مرة، ولم يذكر له كتاباً واحداً ما عدا إشارة إلى أن له رسالة شهيرة مع الوزير أبي المطرّف .

ب- عبد الملك بن زهر : وهو الطبيب الجد لأبي مروان، ذكره ست مرات (06) من غير أن يذكر له مصنفاً واحداً .

جـ- سفيان : طبيب علي بن يوسف المرابطي، ذكره ثلاث مرات (03) ومن غير أن يذكر له كذلك أي مرجع .

د- ابن فضيل : وهو أحد أطباء الأندلس، ذكره مرة واحدة (01) في معرض الرد على من يقولون بقوله في أحد المواضيع الطبية .

6-3- المصادر المشرقية :

لم يذكر إلاّ مصدراً واحداً وهو كتاب "العشر مقالات في العين" لحنين بن إسحاق العبادي، مرة واحدة فقط .

وعند هذا الحدّ تتوقف مصادر ابن زهر الطبيب؛ فما هي نتائج هذا الاستقراء ؟

- أول نتيجة نخرج بها هي غلبة المصادر اليونانية على المصادر العربية الإسلامية، إذ أخذ كما بيّنا عن ثلاثة أطباء يونانيين، ومجموع كتبهم ستة كتب (06) إجمالاً .

- والنتيجة الثانية هي الفرق الكبير بين عدد الشواهد اليونانية وعدد الشواهد العربية الإسلامية؛ فعدد الشواهد الإجمالية 113 شاهداً، منها 67 شاهداً يونانياً، و46 شاهداً عربياً إسلامياً، والنتيجة الثالثة هي أن مصادر ابن زهر كلها يونانية أو عربية إسلامية، وليس بينها أي مصدر فارسي أو هندي خلافاً لما رأيناه من غلبة المصطلحات الفارسية على المصطلحات اليونانية عند الحديث عن ظاهرة التداخل اللغوي في كتاب " التيسير "، وهذا يعني أن اللغة الفارسية عند أبي مروان كانت أقل عجمة من اللغة اليونانية، وأنه وظّفها عنده مثل اللغة العربية .

- وأهم استنتاج حول ظاهرة التداخل الثقافي في كتاب "التيسير" لابن زهر، هو أن الثقافة اليونانية الطبية والصيدلية كانت ثقافة غالبة، وقد كانت الثقافة العربية معتمدة عليها آخذة منها، وهذا يعني أن التأثير المشرقي أو "الإشراقي" لم يمتد إلى بلاد الأندلس، بل إن المنهج الأرسطي والجالينوسي

"العقلاني" كان هو أساس الحركة العلمية في بلاد الأندلس، وذلك له مبرراته التاريخية إذ أن الأندلس منذ البدايات للنشاط العلمي اعتمدت الأصول اليونانية ولم تكتف بترجمات المشارقة، ولم يكن ينظر بإعجاب وسخرية للثقافة الطبية اليونانية، بل في أحايين كثيرة كان يخالف أستاذه جالينوس حيث يتبين وجه الحق بل ويصحح ما صار متعارفاً عليه عند جمهور الأطباء ويصرّح بأنهم على خطأ.

أمّا ما سكت عنه النّص ولم يشر إليه من قريب أو من بعيد؛ فهو عدم ذكر أي طبيب مشرقي، كالرازي وابن سينا، وهذا السكوت له دلالته الكبيرة؛ فالاعتراض عليهما من طرف ابن زهر جاء ضمن إغفاله لهما، وهذا يؤكّد وجهة المشروع الأندلسي المخالف في الإتجاه والهدف للمشروع المشرقي الأفلوطيني، إنه إذن صراع صامت بين الحقول المعرفية في الثقافة العربية الإسلامية، ولهذا فشلت أية حركة أو نزعة ذات أصول فلسفية فيضية أو غنوصية داخل المجتمع الأندلسي، وكانت الغلبة متقاسمة بين سلطة العقل الأرسطي وسلطة الفقهاء المالكيين في معظم الأحيان.

الهوامش والمصادر والمراجع

1- أنظر حول ترجمة الطبيب أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن زهر الإيادي (ت. 557 هـ / 1162م)، المصادر التالية: ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، طبعة روخس - مجرين (مدريد) 1887م، مج 2، ص 616، ترجمة رقم: 1717، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط 3، 1401هـ / 1981م، ج 3.

2 - أندري لالاند: العقل والمعايير، ترجمة نظمى لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م، ص 12.

3 - الدكتور عابد الجابري: تكوين العقل العربي، دار الطليعة - بيروت، ط 2، أيار (مايو) 1985م، ص 38.

4 - لقد ناقش هذه المسألة من القدامى بصورة موضوعية علمية، مثل الخليل بن أحمد (ت. 175هـ/790م)، وسيبويه (ت. 177هـ/792م). وابن جني (ت. 392هـ/1002م)،

وقد كانت هذه الفئة لا تعد الوصف والتنظيم المجردين، وتطورت هذه النزعة تطورا إيجابيا وانتقلت إلى مستوى التحليل والتدوين خاصة على يد الجواليقي (ت. 540هـ / 1145م) في كتابه «المعرب من الكلام الأعجمي»، والسيوطي (ت. 911هـ / 1505م) في «المهذّب فيما وضع في القرآن من المعرّب»، والخفاجي (ت. 1069هـ / 1658م) في كتابه «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل»، ولمن أراد المزيد من الإطلاع حول هذا الموضوع الحساس والشائك، إرجع إلى: إبراهيم بن مراد: «المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية» - دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1) - 1985م (جزءين)، ج 1، ص 5-9.

5 - الغربة اللغوية هي: «صفة اللفظ الأعجمي [المقترض] الذي يبقى دائما أعجميا». انظر: إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي، ج 1، ص 82.

6 - أبو مروان عبد الملك بن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق الدكتور ميشيل الخوري، تقديم الدكتور محي الدين صابر، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الأولى 1403هـ / 1983م، ص: «ي - ك - ل»، مقدمة المحقق.

7 - أبو مروان: التيسير، ص 417.

8 - أبو مروان: المرجع السابق، ص 270.

9 - المرجع السابق، ص 27.

10 - المرجع السابق، ص 51.

11 - المرجع السابق، ص 56.

12 - المرجع السابق، ص 268 - 270.

13 - المرجع السابق، ص 65.

14 - المرجع السابق، ص 05.

15 - المرجع السابق، ص 415 - 416.

16 - المرجع السابق، ص 310.

17 - المرجع السابق، ص 415 - 416.

18 - المرجع السابق، ص 471.

19 - المرجع السابق، ص 480.

20 - أبو مروان عبد الملك: التيسير، ص 108.

21 - أبو مروان، نفس المصدر، ص 271.

22 - أنظر حول ظاهرة تأثر اللغة العربية باللغة الفارسية، صلاح الدين المنجد: المفصل

في الألفاظ الفارسية المعرّبة، ط 1 - م.و.ت 1978، ص 13، وقد جمع المؤلف في كتابه الألفاظ الفارسية التي اقترضتها العربية اعتمادا على نصوص من الشعر الجاهلي والقرآن والحديث النبوي وأقوال الصحابة والشعر الأموي.

23 - ألبير مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس، منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ط 1، بيروت، 1967، ص 29 - 30.

24 - إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي، ج 1، ص 157.

25 - محمد العربي الخطابي لم يذكرها في كتابه: الطب والأطباء في الأندلس، انظر: أبو مروان عبد الملك: التيسير، ص 493.

26و27 - إختلاج، أنظر حوله: أبو مروان: التيسير، ص 493، ومحمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1988، ج 2، ص 290 وانظر كذلك لنفس المؤلف: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة 1، 1990م، ص 532.

28و29 - أبو مروان: التيسير، ص 493، محمد العربي الخطابي، الأغذية والأدوية، ص533.

30 - أبو مروان: التيسير، ص 517.

31 - أبو مروان: المصدر السابق، ص 518.

32 - أبو مروان: المصدر السابق، ص 522.

33 - أبو مروان: المصدر السابق، ص 527.

34 - أبو مروان: المصدر السابق، ص 6.

35 - أبو مروان: المصدر السابق، ص 8.

36 - أبو مروان: المصدر السابق، ص 8.

37 - أبو مروان: المصدر السابق، ص 9.

38 - أبو مروان: المصدر السابق، ص 12.

البحث العلمي التكنولوجي بين موضوعية العلم وعنصرية التوجه

"دراسة حول أبعاد مشروع الجينوم والنسخ البشري"

أ/د. عبد الكاظم العبودي
أستاذ الفيزياء الحيوية - معهد العلوم الطبيعية - جامعة وهران

يشهد عصرنا تحولات عميقة أخذت تزعزع كثيرا من المفاهيم والعلوم الكلاسيكية وأسسها النظرية أيضا ، ذلك يدعو إلى إعادة النظر في كثير من الاعتبارات النظرية التي يمكنها استيعاب الواقع ، ومنها تحديد تعريف العلم والعلماء .

إن واحدة من أهم المفاهيم هي الموقف من تحديد التعريف الوافي للعلم . يعرف العلم بأكثر من تعريف تبعا لتوجهات الفكر المعاصر فهو: [1] يؤخذ أحيانا على أنه هيئة العلماء ومجموعة المؤسسات الاجتماعية التي يسهمون فيها ، إضافة إلى المجلات والكتب والمعامل (المخابر) والجمعيات المهنية والأكاديميات التي من خلالها يعطى للأفراد ولعملهم الرواج والشرعية. [2] يؤخذ العلم كونه مجموعة من المناهج التي يتخذها العلماء وسيلة لبحث العلاقات بين أشياء في العالم ، وقواعد الاثبات التي يتفق على أنها تضفي المصداقية على استنتاجات العلماء. [3] وهو أنه جماع الحقائق والقوانين والنظريات والعلاقات التي تختص بالظواهر الواقعية التي تزعم المؤسسات الاجتماعية "العلم" بأنها حق وذلك باستخدام مناهج "العلم".

إن العلم بوصفه مؤسسة في المجتمع الغربي المعاصر ، له نخبة / نخب نالت من السلطات ماكانت تتمتع به قبل ذلك الكنيسة، رأس المال ومؤسسات المجتمع الأخرى. ذلك سمح للمتحدثين الرسميين من هذه السلطات أن يتحدثوا عن شرعية أفعالهم باسم "العلم"، سواء بالاتفاق مع الظاهرة أو معارضتها. وإن كان يعتقد البعض أن صنع النظرية هو كل مما يحدث بشكل مستقل عن الاطار الاجتماعي الذي يتم فيه صنع "العلم". [4]